الأستاذ: قوراري السعيد.

اسم المادة: النص الأدبي القديم(نثر).

الفئة المستهدفة: سنة الأولى جذع مشترك أدب عربي LMD

عنوان الدرس11: أدب الرحلة في المشرق.

أهداف الدرس: أن يتعرف الطالب على أدب الرحلة، وأهميته، وخصائصه، ونشأته وتطوره، وكذا رواد هذا الفن عبر العصور.

مراحل الدرس:

تمهيد:

تعريف الرحلة لغة.

تعريف الرحلة اصطلاحا.

الرحلة في القرآن الكريم والسنة النبوية.

مفهوم أدب الرحلة.

أغراض الرحلة.

أدب الرحلة أهميته ونشأته وتطوره.

نشأة وتطور أدب الرحلة.

خصائص أدب الرحلات.

أهمية أدب الرحلة.

أهمية أدب الرحلات من الناحية الأدبية.

ملخص المحاضرة:

احتل أدب الرحلة مساحات سردية واسعة ضمن الخطابات الأدبية القديمة، وعبر تاريخها، وسيرورتها الزمنية، وكتبت في هذا الأدب مخطوطات كثيرة كان لها أهميتها الخاصة، كونها شكلت مادة معرفية مهمة، ألقت الضوء على تاريخ الشعوب والحضارات، وعلى المستوى الميثولوجي والأنثروبولوجي أيضا. ونالت مخطوطات أدب الرحلة اهتماما واسعا من قبل كثير من الدارسين، إذ دُرِست دراسات مستفيضة، وقام بتحقيقها وضبطها باحثون عديدون، ينتمون إلى مدارس أدبية وفكرية، متشعبة، ومتباينة في الآن نفسه.

المحاضرة 11: أدب الرحلة في المشرق.

نجد في ثقافتنا العربية الكثير والكثير من الحكايات الأدبية المختلفة وأن الأدب العربي من الآداب الممتعة حيث أن الثقافة والأدب العربي من أقدم الحكايات الأدبية في العالم ويعتبر الأدب العربي متنوع ويضم الكثير والكثير من الأقسام التي تندرج تحت مظلته وتجد هناك الكثير على مر التاريخ يعشقون الأدب العربي حتى هواة الأدب الإنجليزي الشهير تجد هناك أيضا من يتابع الأدب العربي الملئ بالمغامرات والحكايات الشيقة التي تنمي روح القارئ وتبعد به عن أرض الواقع المرير للسفر الى أزمنة لم يعشها ويترك لخياله العنان في رسم القصة الأدبية التي يقرأها ولعل هناك قسم من أقسام الأدب العربي له كثير من القراء وهو أدب الرحلات فأدب الرحلات له الكثير من المتعة حيث يصور لك الكاتب صورة شبه واقعية لما صادفه في رحلته ونجد هذا من بداية بن بطوطة الى نجيب محفوظ ....

أدب الرحلات عند العرب والمسلمين يمتد الى القرن الثالث الهجري عندما تم تدوين الرحلة الأدبية (رحلة السيرافي بحرا الى المحيط الهندي) وهي رحلة استكشافية ، وهناك رحلة أخرى أيضا كانت بتكليف من الخليفة العباسي الواثق لسلام الترجمان للكشف عن سد يأجوج ومأجوج وكانت تسمى الى حصون جبال القوقاز ، وغيرها الكثير من الرحلات الأدبية ولكن أميز هذه الرحلات التي غيرت فكر أدب الرحلات وهي رحلة البيروني في القرن الخامس الهجري والتي كانت تسمى (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرزوله) وكان هذه الرحلة الى الهند وتم توثيق بشكل مباشر كا ما قابله أثناء الرحلة بصورة مبسطة وواضحة غيرت الفكر تمام المأخوذ عن الهند والتعرف على ثقافتهم واللغة السنسكرتية القديمة وهي لغة الهند وقتها.

الرحلة لغة: يقول ابن منظور في لسان العرب عن الرحلة : "الرحلة في اللغة الترحيل والارتحال بمعنى الإشخاص والإزعاج، يقال رحل الرجل إذا سار " .

فالرحلة هنا بمعنى السير والضرب في الأرض وجاءت الرحلة بمعنى الارتحال أي الانتقال من مكان لآخر " و الترحل والارتحال الانتقال وهو الرحلة، والرحلة اسم للارتحال. "

وجاءت الرحلة أيضاً بمعنى الجهة التي يقصدها الإنسان " الرحلة الارتحال .

والرحلة بالضم الوجه الذي تأخذ فيه وتريده، تقول أنتم رحلتي أي الذين أرتحِل إليهم" ، كما تطلق الرحلة أيضا على السفرة الواحدة "السفرة الواحدة "

وأصحاب المعجم الوسيط ذكروا عدة معان تحت مادة رحل حيث قالوا: رحل" عن المكان رحلا ورحيلا وترحالا ورحلة سار ومضى والبعير رحلا ورحلة جعل عليه الرحل فهو مرحول ورحيل وعلاه وركبه ويقال رحل فلان بمكروه ورحله بسيفه علاه به وفي الحديث (لتكفن عن شتمه أو لأرحلنك بسيفي) وله نفسه صبر على أذاه (أرحل) فلان كثرت رواحله فهو مرحل والإبل سمنت بعد هزال فأطاقت الرحلة وفلانا جعله يرحل والإبل راضها حتى صارت رواحل وفلانا أعطاه راحلة، (الرحال) صانع الرحل ،(الرحال) العرب الرحال الذين لا يستقرون في مكان ويحلون بماشيتهم حيث يسقط الغيث وينبت المرعى،(الرحالة) الكثير

الرحلة (والتاء للمبالغة) ، (الرحل) العرب الرحل الرحال ، (الرحل) ما يوضع على ظهر البعير للركوب وكل شيء يعد للرحيل من وعاء للمتاع وغيره ومسكن الإنسان وما يستصحبه من الأثاث وفي الحديث(إذا ابتلت النعال فالصلاة في الرحال) (ج) أرحل ورحال ويقال حط فلان رحله وألقى رحله أقام (الرحلة) الارتحال(ج) رحل ، وفي التنزيل العزيز (..**إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ..**) وكتاب يصف فيه الرحالة ما رأى وبعير ذو رحلة ذو قوة على السير،(الرحلة) ما يرتحل إليه يقال الكعبة رحلة المسلمين وأنتم رحلتي وعالم رحلة يرتحل إليه من الآفاق ويعبر ذو رحلة قوة على السير(الرحول) كثير الارتحال والراحلة " .

وقال الفيروز لآبادي في القاموس المحيط: " الرُّحْلَةُ بالضم والكسر أو بالكسر: الارتِحالُ وبالضم: الوجه الذي تقصِدُه والسَّفْرَةُ الواحدةُ . والرَّحيلُ كأَميرٍ اسمُ ارْتِحالِ القومِ ومَنْزِلٌ بين مكةَ والبَصْرَةِ . وراحيلُ : أُمُّ يوسفَ عليه السلامُ.

ورِحْلَةُ :هَضْبَةٌ . وأَرْحَلَ :كثُرُتْ رَواحِلُه و البعيرُ :قَوِيَ ظَهْرُه بعدَ ضَعْفٍ و الابِلُ: سَمِنَتْ بعدَ هُزالٍ فأَطاقَتِ الرِحْلَةَ و فلانا : أعطاهُ راحِلَةً . ورَحَلَ كمَنَع :انْتَقَلَ . "ورَحَّلْتُه تَرْحيلاً فهو راحِلٌ من رُحَّلٍ كرُكَّعٍ و فلانا بسيفهِ ".

الرحلة في الاصطلاح: " سلوك أنساني حضاري يأتي ثماره النافعة على الفرد وعلى الجماعة فليس الشخص بعد الرحلة هو نفسه قبلها ،وليست الجماعة بعد الرحلة هي ما كانت عليه قبلها ،فالرحلة العربية مثلا كانت لها ثمار انعكست بإيجابية على الحضارة العربية الإسلامية "، وكأوضح مثال على ذلك الأمة العربية قبل الفتح ليست هي نفسها بعد الفتح الإسلامي ، فالرحلة بعد مجيء الإسلام تعد نقطة تحول في الأمة جمعاء وفي جميع المجالات الثقافية والاجتماعية والاستكشافية ،وذلك من خلال احتكاكهم بالشعوب الأخرى ،ومعرفة عاداتهم ، وتقاليدهم ، ومختلف فنونهم فالرحلة هي "اليد التي تمتد لتقرب شعوبا تناءت عن شعوب ، وأقواما إلى أقوام تفصل بينها البحار القفار.

<u>الرحلة في القرآن الكريم والسنة النبوية</u>: لم يدع الإسلام وسيلة من الوسائل التي تفيد الإنسان إلا وحثه على فعلها، ومنها الرحلة، سواء أكانت الرحلة للعلم أو الهجرة بالدين من أرض الشرك إلى أرض الإسلام أو الحج أو التجارة.

وفي بداية الحديث عن الرحلة لا بد من النظر إلى أولى الرحلات الثابتة لدينا والمستقاة من أوثق وأصدق مصادرنا الإسلامية وهو القرآن الكريم ، فقد حفل القرآن الكريم بالأمثلة العديدة لكل نوع منها على الرغم من عدم ورود لفظ رحلة فيه إلا مرة واحدة في سورة قريش.قال تعالى: **(لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ).**

وقد تحدثت سورة قريش كلها عن الرحلة، وهي رحلة قريش التجارية .فكما هو معلوم أن أهل مكة المكرمة اتجهت أنظارهم إلى التجارة بحكم موقع مكة كما قال تعالى على لسان خليله إبراهيم عليه السلام(**رَّبَّنَا إِنِّي**

أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ).

وعلى ضوء ذلك تمتعت مكة المكرمة بمكانة عظيمة وتقاطر الناس عليها استجابة لدعوة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام .هذا فيما يتعلق بالرحلات الخارجية، أما الرحلات الداخلية فكانت لأداء فريضة الحج بدافع ديني وكانوا يستفيدون من رحلتهم تلك في التبادل التجاري حيث كانت تعقد الأسواق قبل الحج وبعده .الرحلات إلى أسواق العرب التي أقاموها في نواحٍ متعددة من جزيرتهم واشتهر منها سوق عكاظ وذي مجاز ومجن ودومة الجندل وعمان وغيرها.

لقد حرص العرب على إقامة هذه الأسواق سنويا، وتميزت بتنافس الشعراء في إظهار عبقريتهم الشعرية، إلى جانب استغلال هذه الأسواق أيضاً لتبادل السلع التجارية المختلفة، والترويج للأفكار والديانات الجديدة، فقد عرض الرسول (ص) نفسه على العرب في هذه المواسم، ودعاهم إلى الإسلام والدفاع عنه. وفي الحديث عن جابر بن عبد لله قال : كان رسول لله صلى لله عليه يعرض نفسه على الناس في المواسم فيقول:**(أَلَا رجُل يَحْملنِي إِلَى قومهِ فإِنَّ قريشاً قدْ مَنَعونِي أَنْ أَبلُغَ كَلام رَبِي)** . الانتقال سعياً وراء العشب والماء، لأنهما قوام حياة العربي في ذلك الوقت. فهذه الرحلات الثلاث داخلية، يقومون بها سنويا وبانتظام داخل بلادهم. ولقد لفت القرآن الكريم الانتباه إلى فوائد وأنواع الرحلات، ويمكن إدماجها في الآتي:

1–الرحلة فرارا بالدين من أرض الشرك إلى أرض الإسلام، وأشهرها هجرة المسلمين الأولى والثانية إلى الحبشة ثم هجرة الرسول (ص) من مكة إلى المدينة ، قال لله عزوجل:(**وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا)** .

2–الرحلة في طلب العلم :وردت في القرآن آيات كثيرة، تبين هذا النوع من الرحلة، وأشهرها رحلة علم وردت فيه. هي رحلة موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام ليتعلم منه. قال تعالى:(**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا)**.فهذه الآيات تدل على سعي طلب العلم من مكان لآخر.

3– الرحلة للحج : يقول لله سبحانه وتعالى:(**وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ).**

فالدعوة لحج بيت لله الحرام قديمة منذ أيام إبراهيم خليل لله عليه السلام . ولما جاء الإسلام ألزمهم به مرة في العمر للقادر على ذلك ، قال تعالى: **(فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ)**

4–الرحلة للتجارة : لقد مهر العرب في التجارة ، وإن كان ذلك داخل نطاق محدود في الجاهلية، فهم يرحلون رحلتين في الصيف والشتاء إلى الشام واليمن، ولكن بعد الإسلام اتسع نطاق تجارتهم تبعا لاتساع

دولتهم، بل لقد تعداه إلى أماكن لم يصلها غيرهم ولم يكتفوا براً، بل ركبوا البحر أيضاً، خاصة بعد أن وجه لله تعالى أنظارهم لذلك، قال تعالى: **(رَّبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا)** .

مفهوم أدب الرحلة: عرف الدكتور إنعام الحق غازي أدب الرحلة نقلا من إحدى معاجم المصطلحات الأدبية، حيث قال " :هو جنس أدبي مهمل وذو تنوع كبير وترجع أصوله إلى العصور القديمة، وقد ساهم فيه كثير من الكتاب الخبراء المشهورين كما أنه وغيرهم من الناس منهم الدبلوماسيين والعلماء والدعاة والأطباء وأصحاب الجيش والبحريين. وهذا الجنس الأدبي يضم الأعمال التي تتصل بالاستكشاف والمغامرات كما أنه يشتمل على سجل الملاحظات التي دوَّنها الرحالون عن الأراضي الأجنبية".

وترى الموسوعة البريطانية حول الرحلة: " إن في هذا النوع الأدبي النثري غير القصصي ، يحتل الرحالة نفسه المكانة أكثر من البلد الذي يزوره . ويضيف الكاتب قائلا: كان الرحالة في العصر القديم مغامراً أو محبًّا للفنون أو كان راغباً في رؤية المناظر الأجنبية ومعرفة العادات الغريبة بالإضافة إلى كونه كاتباً إبداعياً" .

وترى الدكتورة قدسية قريشي أن الرحلة فن متفرّد بين الفنون النثرية الأخرى وذلك لأن كل رحالة يصوغ مشاهداته بصياغة تخصّه، ولا نستطيع أن نقول إن كل رحلة توفّر متعة ولكن يمكننا أن نعتبر الرحلات، من حيث العموم ، تتسم بصياغة أدبية جذابة " .

وقالت عواطف محمد يوسف نواب عن أدب الرحلة والرحالة: "الشخص الذي قام بالرحلة، قد ترك موطنه ، وانتقل إلى مكان آخر، وسافر من موطنه وقصد جهة أخرى غير موطنه وسار إليها، لذا كان لفظ رحلة أعم وأشمل ما يطلق على المسافر من مكان إلى آخر، فالرحال صفة مشتقة من الفعل الذي قام به وهو الرحلة".

ذكر الدكتور أنور سديد العناصر المهمة لأدب الرحلة وأود أن ألخص بعض العناصر من كتابه:

* الرحلة هي تلك الكتابة الأدبية التي تتميز بالسرد والتي يجمع الرحالة مادتها خلال مشاهداته في الأراضي الأجنبية .

* تتضمن الرحلة الأحوال والانطباعات والمعلومات التي تتراكم لدى الرحالة خلال سفره.

* كلما تتمتع الرحالة بدقة النظر وعمق الفكر، كثرت تفاصيله، فالناظر العادي يذوب في تحديد المنظر الجغرافي وبيان سماته الخارجية، والحديث عن أهل البلد مركزاً على الإحصائيات وما شابه ذلك من المعلومات.

* تتكون الرحلة من الأفكار والعواطف والآثار السلبية والإيجابية.

* يضم الرحالة عواطفه العميقة إلى الأوضاع الخارجية وبذلك يعبّر عما يدور في قلبه، ومن هنا يتميز أسلوب الرحلة حيث يصبح أسلوبا أدبيا مؤثرا.

أغراض الرحلة:

أشار فؤاد قنديل في كتابه أدب الرحلات دوافع كثيرة ولكني الخص هنا وأذكر أهم الأغراض والدوافع، ويمكن الرجوع للتفصيل إلى كتابه.

الدوافع التي تحث الإنسان على الرحلة متعددة ومختلفة، وهي تختلف من شخص إلى آخر ومن قوم لقوم ومن عهد لعهد آخر، ولكني هنا أبين بعض منها متساوية في جميع الأحوال.

1- دوافع دينية:

كان الناس يرتحلون لزيارة أماكن المقدسة تلبية لنداء الرحمن وتوبة، وتطهيراً للنفس من دنس الذنوب، وعهدا للسير على الصراط المستقيم وأملا في المغفرة. ومعظم الرحلات تتجه من المغرب إلى المشرق بسب وجود الأماكن المقدسة فيه، وكثرة العلماء، ومركز الخلافة فيه.

2- دوافع علمية أو تعليمية:

إن طلبة العلم يريدون أن يرحلوا لغرض الاستزادة من العلم في منطقة أخرى من العالم في مجالات مختلفة كالفقه والطب والهندسة والعمارة وغيرها، ونجد في كتب الحديث والسير أن من الفقهاء والعلماء من كان يقطع القفار ويعبر الأنهار طلبا لحديث نبوي سمع به، أو لمجرد التحقق من كلمة فيه، وقد فعل ذلك عبدالله بن عباس والإمام الغزالي وغير ذلك من العلماء وهكذا رحلات البحوث العلمية والكشوف الجغرافية.

3- دوافع سياسية:

كالوفود والسفارات التي يبعث بها الملوك والحكام إلى ملوك وحكام الدول الأخرى، لتبادل الرأي وتوطيد العلاقات أو لمناقشة شؤون الحرب والسلام أو تمهيدا لفتح أو غزو.

4- دوافع سياحية وثقافية:

الإنسان يحب التنقل وتغيير الهواء والمناظر ومعرفة الجديد من خلق الطبيعة والبشر، واكتساب الخبرة بالمسالك والطبائع، وقد تكون لتعرف المعالم الشهيرة كالآثار والمنارات والأبراج والغرائب والعجائب.

5- دوافع صحية:

كالسفر للعلاج أو الاستشفاء، أو إراحة النفس من ألوان العناء وتخليصها من الكدر كالارتحال إلى المناطق الريفية ونحوها، وقد يكون هربا من وباء أو طاعون.

أدب الرحلة أهميته ونشأته وتطوره:

أدب الرحلة لون أدبي ذي خصوصية تميزه عن غيره من الألوان الأدبية النثرية الأخرى فهو وإن كان يتفق مثلاً مع الرواية ، في الإفادة من المعطيات الفنية، ويشاكلها في السرد والوصف أحيانا ، فإنه يختط له خطاً متميزاً، إذ يجمع إلى جانب ما سبق عناية برصد الواقع كما هو، دون اللجوء إلى الخيال إلا في إطار محاولة اختيار الأسلوب، وتقديم الواقع في ثوب أدبي، وهو إلى ذلك يقدم المعلومة في ثوب أدبي، حتى ليمكن أن نعد الفائدة والمتعة، وجهين لعملة واحدة، هي "أدب الرحلة." يقول **مجدي وهبة وكامل مهندس** في كتابه : "إن "أدب الرحلات "مجموعة من الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف

عن رحلاته في بلاد مختلفة .وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات، وسلوك وأخلاق، ولتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة، أو يجمع بين كل هذا في آن واحد " .

ويعرف عبد الباسط بدر بقوله قائلاً :" ذلك التأليف النثري المطول الذي يتحدث الأديب فيه عن رحلة تجشم مشاقها، ومر خلالها بمدن وقرى، وعبر جبالاً وأودية و صحاري، ، وواجه أحداثا ،ولقي مفاجآت وغرائب لا يعرفها في بيئته" .

وعرفت الموسوعة العربية العالمية: بأن أدب الرحلة هو الذي يصور فيه الكاتب ما جرى له من أحداث، وما صادفه من أمور في أثناء رحلة قام بها لأحد البلاد".

وتعريف الموسوعة يحدد الرحلة بأدبية أسلوبها، مما يخرجها ويميزها عن الرحلات الأخرى، ذات الأهداف العلمية البحتة.

ويمكننا أن نقول : إن " أدب الرحلة " يعني الكتب الرحلية أو المقالات المتصلة سجل فيها أصحابها مشاهداتهم، وحوادثهم ورؤاهم الرحلية ، على اختلافها وتنوعها، من خلال شعورهم بها ورؤيتهم لها في لغة أدبية موحية.

فأدب الرحلة ينحصر في دراسة النثر الرحلي، ذي الطابع الأدبي، ويصبح من المشروع بعد ذلك عدم إدخال الكتب الرحلية الأخرى، ذات الأسلوب العلمي، المتسق مع غاياتها العلمية البحتة.

وعلى المستوى الفني فإن " أدب الرحلة " يمثل لونا أدبيا فريدا يجمع بعض خصائص " القصة "، و " الرواية " و " السيرة الذاتية " ، ويفيد من أدوات فنية مهمة كالصورة ، والقصة مما يجعله ميدانا فنياً ثريا، ويتيح له ذلك إيصال رسائله الفكرية ، والفنية على اختلافها وتنوعها.

أدب الرحلة هو النثر الأدبي الذي يتّخذ من الرحلة موضوعا .وبمعنى آخر: عندما تكتب الرحلة بشكل أدبي نثري متميّز وفي قالب لغة خاصّة، ومن خلال تصوّر فنّي له ملامحه وسماته المستقلّة، فإنّ فنّ الكتابة هذا يعدّ واحدا من الفنون الأدبيّة.

وتصوّر كتب الرحلات الحقيقة حينا، فيما ترتفع إلى عالم الخيال أو التصوّرات المختلقة حينا آخر، إلاّ أنّ الغالب منها ما يلتزم الحقيقة المجرّدة، بل إنّ مساحة الخيال في أدب الرحلات قليلة جدّا، لأنّه يعتمد في الأساس على الواقع من ناس ، و آثار، و أماكن، و معلومات، و طعام، و شراب، وأزياء، وأخلاق وغير ذلك، مما يسمح للكاتب بإطلاق خياله أحيانا في التغيير والتعديل أو وصف الأشياء بما ليست عليه، ممّا يدفعه للابتعاد عن الحقيقة بعض الشيء وإن اقترب غالبا من الواقع.

وتضمّ كتب الرحلات كثيرا من المعلومات والمعارف الجغرافيّة والاجتماعيّة والتاريخيّة والاقتصاديّة في أزمنة مختلفة، وهي–من هنا– تشكّل مادّة غنيّة للجغرافيين والمؤرخين، وكذلك علماء الاجتماع والاقتصاديون ودارسو الأدب وغيرهم.

ومن فوائد أدب الرحلات، القيمة التعليميّة التي يختزنها، فهي. كتب الرحلات. تثقف القارئ وتثري فكره و معلوماته عن منطقة مّا أو مجتمع مّا، وذلك حين تصوّر ملامح حضارة المنطقة في عصر محدّد، حضارةً تكوّن مصدر ثقافة ذلك المجتمع.

وبالرغم من وسائل البحث والتدوين الحديثة في قراءة وكتابة التاريخ الاجتماعي لبلد أو لمرحلة تاريخية والتي جعلتنا على معرفة أوسع وأدقّ بهذا البلد أو تلك المرحلة من خلال اعتماد السجلات المدنية وأحكام القضاء و دوائر العقارات والمدونات الأخرى، إلا أنها. هذه الوسائل. رغم أهمّيتها غير كافية، فقد يحصل تعسف أيضا في كتابتها أو تحليلها أو قراءتها، والسبب في ذلك غياب الشاهد الإنساني، ذلك الإنسان الذي عاش تلك الأحداث مرحلة بمرحلة، وعانى منها أو استلذّ بها، وليس هذا المصدر الذي يتمتع بمثل هذا الشاهد إلاّ كتب الرحلات التي تركها لنا الأقدمون من أمراء وسياسيّين ورجال دين أو تجّار. يقول شوقي ضيف في كتابه الرحلات: "إن الرحلات من أهم فنون الأدب العربي، لسبب بسيط، وهو أنها خير رد على التهمة التي طالما أُتهم بها هذا الأدب ، ونقصد تهمة قصوره في فن القصة ومن غير شك من يتهمونه هذه التهمة لم يقرءوا ما تقدمه كتب الرحلات من قصص عن زنوج إفريقية وعرائس البحر وحجاج الهند و أكلة لحوم البشر وصناع الصين وسكان نهر الفولجا وعبدة النار والإنسان البدائي والراقي مما يصور الحقيقة حيناً، ويرتفع بنا إلى عالم خيالي حيناً آخر"

<u>نشأة وتطور أدب الرحلة:</u>

منذ أقدم الإنسان كانت الرحلة هواية الأمم ونجدها في الثقافات والحضارات القديمة حتى قيل إن كتاب بوزاناس" رحلة في بلاد الإغريق هو المؤثر الأول في " أدب الرحلة " وقد ظهر هذا الكتاب أثناء القرن الثاني الميلادي.

ثم جاء بعده المؤرخون والجغرافيون الذين كتبوا في هذا اللون وخصوا " أدب الرحلة " بكتب مستقلة وخاصة .وفي القرن الرابع ظهرت التقاليد الأدبية لهذا الأدب على يد **إِكْسِينَفُون** في كتابه "**أنابيزيس** ". ولما جاء عصر النهضة فعُرِف " أدب الرحلة " نوعاً متميزاً في الأدب. وأصبح الأدبُ ذا خصائص وسمات ممتازة .وكان الرحالون والمكتشفون والمستشرقون وذوو السفارات السياسية ساهموا في تكوين أدب الرحلة.

إذا نظرنا في تاريخ العرب فنجد أن أقدم رحلات العرب خارج الجزيرة هي عن طريق البحر، لأن موطنهم تحيط الماء من ثلاث جهات، وكانت هذه الرحلات لأجل التجارة وقليل منها لأجل السير والمغامرات الكثيفة.

فهذه الرحلات ما سجلت وما دونت مثل ما يدون في عصرنا أو العصور قبلنا، ولكن كتب التاريخ وكتب الرحلة التي دونت في القرن الثالث تتحدث عن تلك الرحلات، وأول رحلة التي دونت عنها في القرن الثالث الهجري، فنعتبر هذا القرن عصر نشأة أدب الرحلة عند العرب.

<u>أدب الرحلة في القرن الثالث الهجري:</u>

من أبرز الرحالين والعلماء والمؤرخين في القرن الثالث الذين ساهموا في أدب الرحلة منهم المؤرخ المعروف بهشام الكلبي الذي يعد نموذجا للرحالة الخبير بالجزيرة العربية، وقد صنف عديدا من المؤلفات، أهمها " كتاب الأقاليم، والبلدان الكبير، والبلدان الصغير، ثم جاء بعد الأصمعي وألف " رسالة في صفة الأرض والسماء والنباتات، وتلميذه سعران بن المبارك الذي ألف كتاب " الأرضين والمياه والجبال والبحار " ومن الذين ساروا على الدرب نفسه، منهم سلام الترجمان، والتاجر سليمان، ابن موسى المنجم وغير ذلك من الرحالين.

وإن أقدم الرحلة المدونة في كتب الرحلة هي رحلة سلام الترجمان. وقام سلام الترجمان بتكليف من الواثق برحلة إلى بحر قزوين ليشاهد سد يأجوج و مأجوج ، وبدأت رحلته عام 227 هـ .وقد وصل إلى السد، وتفاصيل رحلته موجودة في " المسالك والممالك لابن خرداذبة. "

الرحلة الثانية في القرن الثالث هي رحلة التاجر سليمان وهو من تجار العراق الذين ينقلون عروض الهند والصين إلى البلاد العربية .وعاش في القرن الثالث الهجري. ولم يصل إلينا ما يشير إلى بقية اسمه أو جانبا من حياته، لأنه كان رجلا عاديا، ولعل الأهم من هذا جميعه هو أن سليمان لم يفعل كما تعود التجار أن يفعلوا بأن يقصوا قصصهم ومشاهداتهم على ذويهم، ولكنه دوَّنَ رحلته في مذكرات عام 237هـ، ولكن سوء الحظ لم تصلنا في كتاب مستقل، إنما وصلتنا في كتاب أبي زيد السيرافي في القرن الرابع الهجري. وفي هذا القرن هناك آخرون الذين دونوا رحلاتهم منهم اليعقوبي خرداذبة وابن رستة وغيرهم.

<u>أدب الرحلة في القرن الربع الهجري</u>: اتسعت الدولة الإسلامية ووصل الإسلام في أنحاء العالم ، وتجار العرب نشروا نداء الإسلام في المناطق لم يصلها الجيش الإسلامي. بالإضافة إلى ذلك إرسال بعثات دينية لتعليم دينهم الحنيف في المناطق الإسلامية الجديدة، ولذا حدثت رحلات عديدة ، وقد وصف فؤاد قنديل تطور ازدهار الحضارة العربية وأشار أن الحضارة العربية ازدهرت لزيادة عدد الرحالة ، وظهور خرائط للبلاد الإسلامية لأول مرة ، وهو ما يسمى " أطلس الإسلام " . وظهور بعض المعاجم التي تضم أسماء الأقطار والأماكن المختلفة، ووصول الرحالة إلى آفاق بعيدة، وخاصة الأصقاع الشمالية من العالم مثل حوض الفولجا وبلاد الروس والبلغار وغيرها . وشهد هذا القرن ظهور رحالة كبار من أهمهم المسعودي الذي ألف "مروج الذهب ومعادن الجوهر " وابن فضلان الذي كان رئيسا لبعثة التي أرسلت الخليفة سنة 309 هـ إلى منطقة بلغار .ودون ابن فضلان رحلته بشكل كتاب ، ونشره في القرن التاسع عشر ميلادي.

وتمثل رحلة ابن سليم الأسواني أهمية بالغة ، لأنها تعد أول رحلة إلى بلاد النوبة ، تصل إلينا أخبارها في عام 365 هـ، وكان قد بعث به القائد جوهر الصقليفي في مهمة دبلوماسية، إلا أن الكتاب لا يزال مفقوداً، ولم تبق منه غير شذرات يحتفظ بها كل من المقريزي و ابن إياس، وأشار كراتشكوفسكي إليه حيث قال: " لم يكن ابن سليم الأسواني وحده هو الذي أسدل عليه النسيان، وإنما يوجد عدد غير قليل

من الكتاب المجهولين الذين لم يعرف المسلمون عنهم لسبب ما سوى القليل، و فوق ذلك لا تزال في طي المجهول " . وغير ذلك من الرحلات التي اشتهرت في القرن الرابع الهجري منها رحلة **أبو زيد البلخي** وكتابه مفقود حتى الآن. ورحلة **الاضطخري** و **قدامة بن جعفر** و**ابن حوقل**، ولكل هؤلاء طريقة وأسلوب ونتاج مستقل في رحلاتهم.

<u>أدب الرحلة في القرن الخامس الهجري</u>: كان البيرونيمن أشهر رحالة العرب في القرن الخامس الهجري ، والبيروني من كبار العلماء والفلاسفة في العرب، وهذا هو البيروني الذي رافق السلطان محمود الغزنوي في فتوحات الهند ، وكان يبحث ويسير في بلاد الهند ويدون ما يشاهد في تلك البلاد ، وكتابه الذي دون في تلك الرحلة العظيمة هو " الهند الكبير أو تحقيق في الرحلات أو ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرزولة ." وهو ليس كتا الجغ رافيا فحسب، وإنما يتضمن أيضاً آراء في الدين والفلسفة والتاريخ. ومن الرحالة الآخرين في هذا القرن منهم ابن بطلان، وكان ابن بطلان يرتحل من بلد إلى بلد ومن منطقة إلى منطقة طلباً للعلم والمعارف وسعياً لاكتشاف الجديد في الفكر والطب. ونجد أحمد بن عمر العذري الذي ارتحل إلى الشرق وعاش في مكة تسعة أعوام ، وخلف لنا كتابا سماه " نظام المرجان في المسالك والممالك" . وأكبر رحالة الأندلس أبو عبيد عبد الله البكري أيضاً عاش في هذا القرن وألف فيه كتابان هما "المسالك والممالك " و "معجم ما استعجم من أسماء الأماكن والبقاع" .

<u>أدب الرحلة في القرن السادس الهجري:</u>

يكاد هذا القرن ينافس القرن الرابع في حجم الإنجاز الكبير على صعيد الجغرافيا وأدب الرحلة، وإذا كان القرن الرابع قد تميز بعدد الرحالة الكبير، فقد تميزر القرن السادس بقوة هؤلاء الرحالة وأهمية الآثار التي خلفوها، والمناهج التي اتبعوها في جمع المادة وتدوين المشاهدات، بما يعد نقلة حضارية كبرى في هذا المجال.

وأول رحلة في القرن المذكور هو رحلة أبي حامد الغرناطي الأندلسي عام508هـ، الذي طاف بالعالم الإسلامي وبخاصة مناطق الشمالية في العالم الإسلامي حيث قضى فيها أكثر من خمس وعشرين عاماً، وتزوج خلال رحلته ، ونشر الإسلام، وصنف كتابين هما " تحفة الألباب ونخبة الإعجاب "و " المغرب عن بعض عجائب المغرب" .

ثم نرى الإدريسي الذي رحل في الأندلس ومصر والشام والمغرب حتى آسيا ،وهو العالم المعمور آنذاك، ووصف البلاد التي زارها وجمع مادة عظيمة وصمم كرة من الفضة وتصور كافة تضاريس العالم، وقدمها لحاكم صقلية الأمير روجر الثاني، وسمى كتابه الذي اشتهر كثيرا في أدب الرحلة فيما بعد ب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق."

ثم نرى في القرن المذكور أعلاه العالم الفقيه أبابكر العربي الأندلسي(ت 543هـ)، الذي كان أول من استخدم لفظ رحلة في عنوان مؤلف، حيث وضع كتابا سماه " ترتيب الرحلة " ، ويعتبر بهذا أول من وضع أساس أدب الرحلات بالصورة الفنية المأمولة، وقدم لنا مادة ضخمة، تحفل بالمعلومات الثقافية

والإجتماعية عن البلاد التي طاف بها. وغير هؤلاء الذين اشتهروا في إنتاج أدب الرحلة منهم ابن جبير، هو الذي اكتملت على يديه ملامح أساسية لأدب الرحلة العربي ، حيث حرص على تدوين مذكراته ومشاهداته يوما بيوم .

وأخيرا نذكر الأمير المجاهد أسامة بن منقذ الذي عمر فوق التسعين، وقضى كل عمره في السفر والحرب والصيد، وكان صديقا للقائد العربي العظيم صلاح الدين الأيوبي ، وترك لنا كتابا واحدا الذي اشتهر بين الرحالين ويكفي لنا أن نضع اسمه بين الرحالين، وسمى كتابه " الاعتبار "، وكتابه مليئ بخبراته وتجاربه وسيرة حياته وذكرياته في البلاد التي ارتحل إليها .

<u>أدب الرحلة في القرن السابع الهجري</u>: ياقوت الحموي (ت626ه) من أحد الوجوه المضيئة في تاريخ العرب، وكان رحالة وعالماً جمع بين معارف كثيرة وأبحر في علوم عديدة، ومن أهم إنجازاته كتاباه "معجم البلدان " و"معجم الأدباء" ومعجم البلدان مكون من عدة مجلدات ضخمة تحوي بين جوانبها مادة على قدر كبير من الثراء والقيمة عن كافة أقطار ومدن وقرى العالم الإسلامي، وبهذا أصبح معجم البلدان من أهم المعاجم الجغرافية. وقد عدّه فؤاد قنديل من أبرز رحالة العرب حيث يشير إلى معجمه قائلا:" إنه يكفي الحموي لكي يكون أبرز خدام الرحلة والجغرافيا، أنه استنقذ لنا فقرات مطولة ومهمة من كتابات مؤلفين كبار، لم نعثر حتى الآن على مخطوطاتهم..." .

ثم نرى في القرن السابع البغدادي (ت629ه) الذي نال شهرة واسعة بفضل كتاب صغير ألفه بعد زيارته لمصر سماه "الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر". وفيه يصور أحوال مصر إبان زيارته لها، وقد قام بزيارتها مرتين عامي587،589ه، وبقي فيها نحو ثلاثة عشر عاما، وكان يدرس خلالها بالجامع الأزهر.

وتنوعت رحلات البغدادي وتعددت أغراضها، مابين رحلات سياحية للقاء الملوك و الوزراء، وخير ما قال فؤاد قنديل عن رحلاته": ولست مبالغاً إذا اعتبرته في ميزان هذه الدراسة رحالة مثالياً تتحقق فيه كل سمات الرحالة الذي أغرم بالسفر منذ الصبا البار بحثا عن المعرفة بكافة أشكالها وصورها" .

ونصل مع نهاية القرن إلى رحالة له سمات خاصة، هو الأديب الفقيه محمد العبدري الذي بدأ رحلاته عام 688ه، وقد تجنب في كل مراحلها استخدام البحر، مؤثرا البر وخلف لنا "الرحلة المغربية" التي اشتملت– رغم قسوته وحدته في أحيان كثيرة– على أدق وصف لبلاد الشمال الإفريقي .

أدب الرحلة في القرن الثامن الهجري:

زين هذا القرن بموسوعات مهمة، وكلها تسهم في إضاءة أدب الرحلات و خدمته، مثل: " نهاية الأرب في فنون الأدب "للنويري "و " مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" لأبي فضل العمري، إلا أنهم جميعا كانوا من كبار المثقفين الموسوعيين، ناقلين وجامعين لصنوف العلوم و المعارف، وإلى جانب احتفالهم بالمعلومات التاريخية و الجغرافية، فقد حرصوا على نشر المنتخبات النثرية والشعرية التي ترتبط بالمواضع والأحداث.

وليس من شك أن هذه الموسوعات ضربت بسهم وافر في حقل أدب الرحلة العربي، على أن كل ما أثمره هذا القرن يتضاءل كثيراً إزاء ظهور النجم الكبير والرحالة العالمي صاحب " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار " ذروة أدب الرحلة العربي، وأشهر من جال في البلاد وجاس في أمصار ، والتقى بالعلماء والملوك، وتزوج النساء في أغلب البلدان، وقطع أكثر من مائة وعشرين ألف كيلو متر، وداس جميع الأراضي التي وصل إليها بشر حسب علمه دول الشمال، وأبرز من كتب عن إفريقيا، إنه الرحالة الأشهر ابن بطوطة أبو عبد الله اللواتي الطنجي .

ونجد أيضاً في هذا القرن ابن خلدون الذي لا يحتاج إلى أي تعريف، وكتابه في أدب الرحلة "التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا" وكان تركيزه الأكبر على استعراض سيرة حياته، بينما شغلت رحلته المحل الثاني في الأهمية، ومع ذلك فالكتاب يتضمن نصاً جيداً في أدب الرحلة العربي، إذ تعددت وتنوعت وكثرت مخاطرها، ولم تخل من الملاحظات الدقيقة الذكية، التي لا نكاد نعثر عليها لدى غير هذه الشخصية الطموحة الوثابة، ولو كان ابن خلدون قد عني بإفراد كتاب مستقل لرحلاته، مع انتهاجه أسلوبا أدبيا بسيطا متدفقا، يخلو من السجع والمحسنات البديعية لوضع مصنفا بديعا في أدب الرحلة، لا يقل أهمية عن مصنفاته في التاريخ أو الاجتماع.

و من رحالة هذا القرن أيضاً محمد التجاني لكننا لا نعرف عنه الكثير ، وإن كانت بعض المؤلفات قد أشارت إليه .وهكذا أبو الفداء ألف كتابا في أدب الرحلة " تقويم البلدان".

خصائص أدب الرحلات:

يتميّز هذا الفن الأدبي عن غيره من الفنون الأدبيّة الأخرى بوجود من مجموعة من الخصائص، وتجلّت هذه الخصائص فيما ورد عن أدباء الرحلات من مؤلفات كتبوها عند زيارتهم لبعض البلدان، ومن أهم هذه الخصائص ما يأتي:

-الاعتماد على الحوار.

-استخدام الأسلوب القصصيّ.

-الاعتماد على الوصف بشكل كبير لإيضاح تفاصيل الأماكن التي يتم زيارتها.

-خلط الجدّ بالهزل وشيوع عنصر الفكاهة في النصوص الأدبية للرحلات.

-تضمين الشعر وبعض آيات القرآن الكريم في نصوص الرحلات ليتمّ من خلالها التأكيد على ما يصفه الكاتب.

-يحتوي على مجموعةٍ من القصص والأحداث التي تساهمُ في نقلِ صورٍ تاريخيّة للقراء.

-يصفُ طبيعة، ومراحل الرحلة التي شارك بها الرحالة.

-يهتمُ بتسجيل المعلومات الجغرافيّة حول المناطق الجديدة.

-ينقلُ وصفاً عن العادات السائدة عند سكان المناطق التي وصلها الرحالة.

-يعتمدُ على نقل التاريخ بصورةٍ واقعية، أي يسردُ قصصاً حول شخصياتٍ حقيقية.

كتب أدب الرحلات:

هناك العديدُ من المؤلفات التي تناولت أدب الرحلات، حيث عمد مؤلفوها إلى ذكر صفات مجموعة من البلدان التي تمت زيارتها من قبلهم، ومن أهم كتب هذا الفن الأدبي ما يأتي:

***عجائب البلدان:** لأبي دُلَف الينبوعي الذي ولد في عام 305 هجري وتوفي عام 385هجري.

***المعرب عن بعض عجائب المغرب:** لأبي حامد الغرناطي الذي ولد عام 473 وتوفي عام 565هجري.

***عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات:** للقزويني الذي ولد عام 605 هجري وتوفي عام 682هجري.

***خريدة العجائب وفريدة الغرائب:** لابن الوردي الذي توفي 749هجري.

تحفة النظّار وغرائب الأمصار وعجائب الأسفار: لابن بطوطة الذي ولد عام 703 وتوفي عام 776هجري، ويعد هذا الكتاب من أشهر الكتب لأدب الرحلات والذي روى فيه كاتبه ما شاهده في بلدان القارة الإفريقية، كما بيّن في هذا الكتاب العديد من العادات في المجتمع الهندي.

أهمية أدب الرحلة:

إنّ الرّحلات من أهم الفنون الأدبية بحيث إنّها تحوي بعض المعلومات المهمة التي لا يمكن الاستغناء عنها لأحد من الأدباء والمؤرخين والجغرافين وغيرهم، فمطالعتها لازمة لكل من يودّ الكتابة أو الدراسة عن إحدى الفترات التي كتبت فيها تلك الرّحلات. فإن أدب الرحلات العربية يمثل جوانب مهمة من جوانب الحياة العربية والإسلامية في مختلف نواحيها سواء في ذلك الجانب السياسي والاجتماعي والديني والفكري وأيضا الأدبي، وقد برز كثير من الرحالة العرب وقاموا برحلات طويلة وألفوا كثيرا من الكتب صوروا فيها ما شاهدوه في هذه الرحلات وصوروا مشاعرهم وآراءهم وكانت هذه الكتب وثائق هامة تصور الحياة في تلك الأزمان فهي منابع ثرية لمختلف العلوم، يمكن أن يقال إنّها بحر من المعارف والإكتشاف وسجل حقيقي لمظاهر الحياة المختلفة ومفاهيم أهلها على مرّ العصور، بحيث يقدّم فيها الراحل أحوال المجتمعات، وعادات النّاس، و تقاليدهم، وملابسهم، وأطعمتهم، وأشربتهم وشعائرهم الدينية، بأسلوب أدبي. يقول زكي حسن :الرحلات بمثابة مصادر شاملة سجلت فيها جوانب متعددة فيما يخص الجوانب الحضارية على امتداد أزمنة متتالية، فالرحلة تتطلب اتساع المعارف وتنوعها، لأنها تستخدم الجغرافيا، وتستند إلى التاريخ عند التعرض لوصف المسالك والمدن والمعالم وبدايات الأمور، بل ورصد الظواهر الاجتماعية غير المألوفة لديهم، وكذلك الاقتصادية، ويتبعها السياسية بنسب متفاوتة وعرض ذلك بزي الأدب وطابعه" .

عندما نلفت النظر إلى ما كتب في حقل أدب الرحلة من نشأته إلى يومنا هذا، فنجد فيه أن كثيرا من الكتب المؤلفة في هذا المجال ذات طابع أدبي، وهي تعني برصد الواقع ونقل "الصور والمشاهد على نحو يحقق التأثير الوجداني، أو ينقل الأحاسيس والعواطف التي يجدها في نفسه من يجتلي تلك المشاهد والآثار والصور، وهذا البعد هو الذي يملأ النفس متعة وتأثيرا، ويجعل للرحلة سمة أدبية بدلا من أن تقف عند حد التسجيل والتدوين وجموده .

أهمية أدب الرحلات من الناحية الأدبية:

فإن الأهمية الأدبية تتجلى في كون كثير مما أورده هؤلاء الرحالون في مذكراتهم يمكن أن يأخذ سبيله إلى عالم الأدب والخيال كأنموذج من أرق النماذج على الوصف الفني الحي المتميز بشيء لم نزل نفتقده في أدبنا، وهو الإنصراف عن اللهو والبعث اللفظي والطلاء السطحي، والإيثار للتعبير السهل المستقيم الناضح بغنى التجربة وصدق اللهجة الشخصية، مما لا نجده متوافرا عند البلغاء والأدباء المحترفين، ونجده بقوة عند العلماء وفقهاء الدين والمؤرخين وهؤلاء الكتاب الرحالين".

أدب الرحلة يحفل بكثير من "الأساطير والخرافات، وبعض المحسنات البديعية، وجمال اللفظ ، وحسن التعبير، وارتقاء الوصف، وبلوغه حدا كبيرا من الدقة، علاوة على ما يستعين به أحيانا من أسلوب قصصي سلس، مشرق، وهذا هو الذي يجعل بعض الدارسين يدخلون أدبيات الرحلات ضمن ، مشرق، وهذا هو الذي يجعل بعض الدارسين يدخلون أدبيات الرحلات ضمن فنون الأدب العربي فمثلا نرى الرحالة الكبير ابن جبير الأندلسي يستخدم بعض الأحيان نوعا من السجع في نصوص رحلته كما هو يتحدث عن أهل مدينة السلام بغداد حيث يقول: "وأما أهلها فلا تكاد تلقى منهم إلا من يتصنع بالتواضع رياء، ويذهب بنفسه عجباً وكبرياء. يزدرون الغرباء، ويظهرون لمن دونهم الأنفة والإباء، ويستصغرون عمن سواهم الأحاديث والأنباء."